ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.02].

القراصنة في البحر المتوسط خلال عصر الحروب الصليبية ٤٨٩ – ٦٩٠هـ/ ١٠٩٥ – ١٢٩١م

أ.د. إمام الشافعي محمد حمودي
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
رئيس قسم التاريخ – كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر – جمهورية مصر العربية

د. أشرف صالح محمد سيد
أستاذ مساعد تاريخ وتراث العصور الوسطى
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة ابن رشد – هولندا

مُلَخّصْ

تُعَدّ فترة الحروب الصليبية من أهم الحقب التاريخية في العصور الوسطي، ومن الظواهر التي تدعو إلى الانتباه في هذه الفترة، كثرة انتشار اللصوص والقراصنة، فمع أن الحركة الصليبية كانت حركة دينية، كما كان يدعي الجانب الصليبي؛ إلا أنه كان من أسباب الحركة الصليبية رغبة البابوية في التخلص من المجرمين الأوروبيين بإرسالهم إلى الشرق بحجة تكفير الذنوب، فأدى ذلك إلى انخراط الآلاف منهم في الحركة الصليبية على طول امتدادها الزماني والمكاني، فأصبحت بلاد الشام وسواحلها مرتعًا خصبًا لأعمالهم الإجرامية، هذا فضلاً عن أعمال اللصوص والقراصنة الشرقيين من السلب والنهب والسطو. وقد استعان الباحثان بمنهج البحث التاريخي لتحقيق هدف الدراسة وإلقاء الضوء على لصوص البحر (القراصنة) والذي لم تبخل المصادر التاريخية المعاصرة للحروب الصليبية من الحديث عنهم باستفاضة، كدليل قوي على كثرتهم في ذلك العصر. حيث تناولت الدراسة أسباب انتشار القرصنة في عصر الحروب الصليبية، وجنسيات وأسماء قراصنة البحر المتوسط، وأوكار القراصنة وجرائمهم وطرائق الحد من القرصنة في البحر المتوسط خلال عصر الحروب الصليبية، وقد تبين أن أعمال السلب والنهب التي قام بها القراصنة كانت لها آثار من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والدينية.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٢٧ يناير ٢٠١٨
تاريخ قبول النشر: ١٩ مايو ٢٠١٨

كلمات مفتاحية:
الصليبيون، القرصنة، البحر المتوسط، الأراضي المقدسة، لصوص البحر، تاريخ السلب والنهب

معرّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0054799

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
إمام الشافعي محمد حمودي، أشرف صالح محمد سيد، "القراصنة في البحر المتوسط خلال عصر الحروب الصليبية (٤٨٩ – ٦٩٠هـ/ ١٠٩٥ – ١٢٩١م)"- دورية كان التاريخية- السنة الحادية عشرة- العدد الثاني والأربعون؛ ديسمبر ٢٠١٨. ص ٧٢ – ٨١.

مُقَدِّمَةٌ

تعود القرصنة في البحر المتوسط إلى العصور القديمة، ولم تقتصر على سكان شمال إفريقيا، بل مارسها فرسان القديس يوحنا انطلاقًا من رودس ومالطة، وكذلك أوربيون ضد بعضهم البعض، وضد السفن الإسلامية، فكان الأوربيون حتى القرن الرابع عشر الميلادي أسياد المتوسط يعيشون من نهب البضائع ومن تجارة الرقيق، ويرى الباحث الإيطالي سلفاتور بونبو أن القرصنة كانت أداة استراتيجية وسياسية للدول الأوربية وللحكام المسلمين.(١)

ولعله من الأهمية بمكان قبل الحديث عن القراصنة في البحر المتوسط خلال عصر الحروب الصليبية أن نتعرف على مفهوم القرصنة، وما يتعلق بها من ألفاظ أخري كانت تستخدم في ذلك العصر. وهناك مخاوف أخري في البحر، تكمن في القرصان أو لصوص البحر، الذين يهاجمون الواحدة من السفن مثلما يهاجم المقاتلون قلعة من القلاع،(٢) فإن أعظم قُطاع الطرق والسارقين خطورة ووحشية في البحر.(٣) القرصان، لصوص البحر (إفرنجية)،(٤) وقرصان مفرد، والجمع قراصنة وقراصين، وهو لص البحر، مَنْ يُحوَل اتجاه سفينة أو طائرة إما لسلب الحمولة، وإما لغاية سياسية أو نحوها، وراية

القرصان: راية سوداء تحمل جمجمة بيضاء وعظمتين متصالبتين.[٥]

ولفظ القرصان غير عربية، فهي مأخوذة من اللغة الإيطالية (Cursaro) بمعني لص البحر، وهي مأخوذة بدورها من اللاتينية (Cursarius) المشتقة من فعل بمعني جري، لأنهم كانوا يهربون بعد نهب السفينة، وبنت اللغة العربية منها فعل قرص، والقرصنة، والجمع القرصان.[٦] فأصل لغتها اللاتينية، ثم انتقلت إلى الإيطالية، ومن الإيطالية دخلت اللغة العربية، فهي من الكلمات المُعرَبة، ويعد كتاب محيط المحيط لبطرس البستاني أول معجم في العصر الحديث ذكر هذه اللفظة بين دفتيه.

وتعني القرصنة الهجوم أو محاولة الاعتداء على السفن التجارية، وظل هذا الاسم ملتصقا بأعمال القرصنة خلال العصور الوسطي، ليطلق على السلب والأسر من أي سفينة تصادف القرصان بصرف النظر عن نوع السفينة وجنسية من على متنها ودينه.[٧] أما القراصنة، فهم مجموعة فوضوية خارجة عن القانون، تعتدي على الملاحة وتستولي على التجارة البحرية، وتكون السفن والسواحل البحرية كافة عرضة لهجماتهم وغاراتهم الخاطفة، وغاية هدفهم هو الغنيمة على حساب الضرر العام.[٨]

١-أسباب انتشار القرصنة في عصر الحروب الصليبية

على الرغم من أن البيئة في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية كانت مهيأة لانتشار السرقة البرية والبحرية، نظرًا لوجود اللصوص والقراصنة الشرقيين، ولتدفق أعداد كبيرة من اللصوص والقراصنة الأوروبيين نحو الشرق العربي، إلا أن دوافع اللصوصية والقرصنة في عصر الحروب الصليبية كانت متعددة، بل وبعضها كان وليد ظروف العصر نفسه. والبعض الآخر كان متداخلاً مع بعضه البعض أيضًا، ويمكن إجمال دوافع اللصوصية والقرصنة خلال عصر الحروب الصليبية حسب أهميتها في الآتي:

١/١-الرغبة في الحصول على الأموال

كان دافع الحصول على الأموال من الدوافع الأساسية لعمليات السرقة من خلال اللصوص أو القراصنة في أي عصر من العصور، فكان الحصول على المال أو متاع الناس من الدوافع الأساسية لعمليات قُطاع الطرق والقراصنة في عصر الحروب الصليبية. لقد تنبه مؤرخو عصر الحروب الصليبية إلى هذا الدافع في ارتكاب جريمة السرقة، يقول المؤرخ المجهول عن الدافع لهذه الجريمة:[٩] "إن الحاجة أمَ الجريمة" ويقول الرَحالة فيلكس فابري:[١٠] "إن الرجل الغني يخاف من اللصوص أكثر من المُعدم". وقد نوَه على ذلك الدافع أيضًا المؤرخ الإنجليزي متَي باريس، فقال:[١١] "بحضور اللص يبتهج المسافر الذي لا يحمل ذهبًا". وذلك على أساس أن الغني هو مَنْ يمتلك المال، وبالتالي هو الهدف الرئيس للصوص وقُطاع الطرق. هذا فضلاً عن أن أغلب الشواهد التاريخية التي سترد في ثنايا هذا الكتاب تؤكد على أن أغلب عمليات اللصوصية والقرصنة في عصر الحروب الصليبية كانت بدافع الحصول على الأموال والأمتعة.

٢/١-اضطراب الأوضاع السياسية والعسكرية

لازم اندلاع شرارة الحروب الصليبية وما أعقبها من أحداث امتدت نحو قرنين من الزمان، اضطراب كبير في الأوضاع السياسية والعسكرية في بلاد الشام، نظرًا لأن الحرب كانت سجالاً بين المسلمين والصليبيين، ففر العديد من السكان من المدن والقرى، وقامت أنظمة جديدة وسقطت أخري، وقد ساعد ذلك العديد من اللصوص كي يمارسوا نشاطهم الإجرامي في هذا البحر الهائج من الاضطرابات السياسية والعسكرية.

ولما رفض الإمبراطور البيزنطي الزواج من أخت كونت طرابلس، استدعي كونت طرابلس جماعة من القراصنة والعيَارين وأرباب أبشع الجرائم، وعهد إليهم بالعيث فسادًا في أراضي الإمبراطور بعد أن حملهم في سفن مخصصة لذلك، وأمرهم بإضرام النار في كل مَنْ يصادفونه، وألا يستثنوا من بطشهم كنيسة ولا ديرًا، وقد أطاع هؤلاء الرجال الكونت، وأبحروا وانسادوا في كل ممتلكات الإمبراطور ينفذون أوامر الكونت على مجال واسع في كل ناحية، جزيرة كانت، أو أرضا تجاور بحرًا.[١٢] ولم تكن عملية استئجار القراصنة لأعمال السلب والنهب قاصرة على الصليبيين فيما بينهم البعض، فقد كان القراصنة برعاية من ملوك الجزر والمدن الأوروبية ولا سيما المطلة على البحر الأبيض المتوسط، يشجعونهم على السلب والنهب، بل حتى القتل للتجار العرب المسلمين في سبيل ضرب التجارة، كي لا يستفاد العرب المسلمين من الموارد الاقتصادية التي تدرها بسبب انعدام الأمن والأمان بالطرق.[١٣]

وعندما دمرت الحرب بين البنادقة والبيزيين البلد والسكان ماديًا ومعنويًا، قام ثُلَة من القراصنة المحترفين تقاطروا من كل الأنحاء، واستغلوا هذه الفوضى الشاملة، فراحوا يقتلون وينهبون بلا تمييز كل ما تصل إليه أيديهم.[١٤]

٣/١-تعطيل القوانين

من أسباب انتشار اللصوص والقراصنة في عصر الحروب الصليبية، تعطيل القوانين وعدم معاقبة المجرمين بعد أن تثبت عليهم الجريمة، وقد مثّل هذا دافعًا كبيرًا للصوص والقراصنة لارتكاب العديد من جرائم السرقة والسطو.

وكان التباطؤ في القبض على اللصوص والقراصنة يمثل عاملاً كبيرًا لارتكاب جرائم السرقة في عصر الحروب الصليبية، يقول يعقوب الفيتري مؤكدًا على هذا الأمر: "إن السهولة التي تمكنهم من الهرب من العقاب، تعتبر حصانة لهم تمكنهم من فعل الخطأ، إذ أنهم بعد عمل الفظائع الكبيرة، يقسمون كذبًا بالمسيح، ويذهبون إلى المسلمين المجاورين، أو أنهم يركبون ظهر سفينة شراعية أو مركب ويبحرون إلى جزر البحر".[١٥]

على صعيد التساهل مع القراصنة وجرائمهم، كان سادة الجزر في البحر المتوسط يتساهلون أحيانًا في وجود بعض القراصنة عندهم.[١٦] وفي فترات الاضطرابات العامة، كانت المدن التجارية الإيطالية جنوا وبيزا بنوع خاص، وكذا البندقية بدرجة أقل، تتساهل مع أعمال القرصنة، وإن لم تكن تشجعها، ولم تكن القراصنة تعرقل التجارة الوطنية، لأن القراصنة كانوا يتسامحون دائمًا مع مواطنيهم، وفي عهد الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الثالث،[١٧] كان هو نفسه يطلب مساعدة القراصنة ضد نظائرهم، نظرًا لانحلال البحرية البيزنطية، أو يسعي للتحالف مع دولة بحرية ليحارب قراصنة دولة أخرى.[١٨] وعندما غابت شمس البحرية الإسلامية، نشط القراصنة في الغرب المسيحي في مياه البحر المتوسط،[١٩] وفي شرق البحر المتوسط، كان اخضاع هؤلاء القراصنة الذين يعكرون صفوا الأمن والسلام، يستوجب بحرية قوية، ولكن البحرية اليونانية كان قد أصابها الانحلال بإهمال الأباطرة أنفسهم، ففيما مضى كانت الأمم التجارية تخشى المخاطر التي تتعرض لها سفنها بتواجدها في المياه اليونانية، ومن ثَمَّ كانت تلتمس حماية السفن الحربية البيزنطية.[٢٠]

٤/١-الاحتجاج ضد الظلم

من الأسباب الملفتة للنظر لانتشار عمليات اللصوص والقرصنة، الاحتجاج ضد الظلم، ومحاولة بعض فئات المجتمع تشكيل مجموعات عصابية لاسترداد حقوقهم التي سُلبت، سواء كان هذا الحق المسلوب من السلطة الحاكمة أو من بعض الفئات المدنية. على الرغم من أنه لا يمكن إطلاقًا تبرير مهنة القرصنة، أو تصويرها في قالب مثالي ككل، إلا أنه لا يمكن في الوقت ذاته أن ننكر أنها كانت في بعض الأحيان شكلاً من أشكال الاحتجاج، خروجًا من مجتمع قائم على الظلم، مجتمع تنظمه علاقات تعسّفيه، وتتحكم فيه بشكل صارم مؤسسات جائرة.[٢١]

ومن الشواهد التاريخية على أن امتهان القرصنة كانت نتيجة لوقوع الظلم أحيانًا على بعض الأشخاص مما دفعه إلى القرصنة، أنه في عام (٥٩٥هـ/ ١١٩٨م)، كان هناك جنوي يدعي (جافوريو Gaffairo) يقوم برحلات كثيرة إلى مدينة القسطنطينية بصفته تاجرًا، لكن تصدى له رجل جشع هو الأميرال (ميشيل ستريفنوس) ففكر في الانتقام، وتحول إلى القرصنة، ونجح في وضع الإمبراطور البيزنطي في مأزق حرج بالإغارة والقرصنة على جزر الأرخبيل في البحر المتوسط التابعة للدولة البيزنطية.[٢٢] وفي سنة (٦٤٩هـ/ ١٢٥١م)، شكّل البنادقة والبيازنة والجنويون مؤامرة ضد ملك فرنسا لويس التاسع، لأن ملك فرنسا رفض أن يعطيهم أموالاً نظرًا لاشتراكهم معه في غزو مدينة دمياط في الحملة الصليبية السابعة على مصر، فقاموا بإغلاق الموانئ بغلاييهم،[٢٣] وراقبوا البحر بحرص، من أجل سلب أو إغراق أي فرنسي، يمكن أن يعبر البحر.[٢٤]

٢-جنسيات وأسماء قراصنة البحر المتوسط في عصر الحروب الصليبية

كان من بين القراصنة أُناس متعلمون وآخرون من خُثالة المجتمع، وضباط ملكيون، وبحارة وموظفون عملوا فيما مضي في إدارة الأسطول البحري، ولصوص نكرة تواءموا جميعًا على ظهر سفينة واحدة.[٢٥] ولم يكن موظفو الإمبراطورية البيزنطية يخجلون من حياتهم، بل إن منهم مَنْ كان يفعل أكثر من ذلك، فيجهزون بأنفسهم السفن لأغراض القرصنة، مثال ذلك، حاكم (تاسوس Thasos)، و(اسكوبيلوس Scopelos)، و(سيريجو Cerigo) وبخاصة حاكم رودس، ويدعى (كريفيكيوتس Krivikiotes).[٢٦]

وفي مجال السرقة عن طريق القرصنة، من أسماء القراصنة، نقرأ عددًا كبيرًا يدل على أنهم من أصل غربي، وهذا يرجع إلى العناصر الغربية التي اختلطت بالجنسية اليونانية قبل الحملة الصليبية الرابعة وبعدها أيضًا.[٢٧] إن الجنويين والبيزيين كانوا أكثر مَنْ يعمل في مهنة القرصنة، ويشكلون القسم الأكبر من طائفة القراصنة الذين كانت تعُج بهم المياه اليونانية، وكانت حالة البحرية اليونانية السيئة للغاية تسمح لهم بأن يشنوا غاراتهم بقوة.[٢٨] كان العبيد في

الكيان الصليبي من جملة القراصنة أيضًا، يقول فيلكس فابري مؤكدًا على ذلك:[٢٩] "عبيد الغليون –سُفن القراصنة– بشكل عام لصوص". بل يقول عنهم في موضع آخر:[٣٠] "إن انعدام الثقة بعبيد الغليون وسرقاتهم، يزعج الحجاج كثيرًا، لأنه لا يمكن تأمينهم على أي شيء، لأن عبد الغليون يسرق كل ما تطاله يده، أو يضعها عليه". كان من بين القراصنة أُناس متعلمون وآخرون من حثالة المجتمع، فكان على كل مَنْ يدخل في عداد أي عصابة كبيرة مثل هذه أن يُوقّع على ميثاقها، ولو بمجرد رسم صليب، وفي الوقت نفسه يقوم بتقبيل الكتاب المقدس.[٣١] فمع أن مَنْ سيعمل في مجال القرصنة، كان سيقوم بأعمال السلب والنهب والسطو، إلا أنه كانت تؤخذ عليه المواثيق الدينية.

هذا، وتكاد الشواهد التاريخية التي تؤكد على انخراط الشرقيين في سلك القرصنة في عصر الحروب الصليبية، أن تكون نادرة جدًا، ومن هذه الروايات، أنه كان هناك ثلاثة من البحارة الصليبيين في طريقهم إلى مدينة صور، فلما بعدوا عن الميناء الذي خرجوا منه، كان بعض القراصنة من الترك قد لمحوهم حين مغادرتهم الميناء، فخرجوا إليهم، فلما رآهم البحارة يقتربون منهم في سرعة تولاهم الهلع واستبد بهم الجزع.[٣٢]

أما بخصوص أسماء القراصنة التي ورد ذكرها في المصادر التاريخية، فنستطيع أن نذكر تسعين اسمًا، يتبع اسم كل قرصان منهم قائمة طويلة أو قصيرة بالأعمال الشريرة التي اقترفها، بخلاف هؤلاء القراصنة الذين يخرجون من موانئ اليونان وجزرها، وتوجد مجموعة من القراصنة الجنويين.[٣٣] من أسماء هؤلاء القراصنة (جورج مانياكس) الذي كان في بداية حياته قائدًا بيزنطيًا من القادة المرتزقة في حرب الصليبيين ضد المسلمين.[٣٤] ومنهم القرصان (جانيمير البولوني) الذي استولى على ميناء ومدينة اللاذقية، وتم طرده منها بواسطة الإمبراطور البيزنطي.[٣٥]

وقد ورد في المصادر التاريخية اسم القرصان الجنوي (ليوني فترانو Leone Vetrano) الذي كان يجوب مياه جزيرة (كورفو) في البحر المتوسط ويسيطر عليها،[٣٦] وكذلك القرصان الجنوي (أندريا جافور Andrea Gaffore) نقرأ اسمه مرة بصفته قرصانًا عاديًا، ثم بصفته قائد أسطول امبراطوري يضم ثماني عشر سفينة حربية.[٣٧] ومن القراصنة الإنجليز، القرصان الإنجليزي (وليم مارش بن غيوفري مارش)،[٣٨] ومن القراصنة الإنجليز(يوستاس الراهب) الذي كان رجلًا فاسدًا جدًا، وقرصانًا شريرًا،[٣٩] ومن مدينة تسالونيك، ورد في المصادر التاريخية اسم القرصان (يوحنا سنسيرازون jean Senserazon)، و(يوحنا دي لوكافو Jean de lo Cavo).[٤٠]

ومن أسماء القراصنة أصحاب الأعمال المشتركة، القرصان الجنوي (ولهلمس جراسوس Wilhelmus Grassus) والآخر بيزي يدعي (أنريكو بسكاتوري Enrico Pescatore).[٤١] وكان من أكبر القراصنة الكونت هنري المالطي (Henri de Malte).[٤٢] ومن أسماء القراصنة أيضًا، القرصان البندقي (ماركو سانودو Marco Sanudo)، وكان له أصدقاء من القراصنة منهم، (مارينو داندولو) والأخوان (جريميا وأندريا غيزي Geremia et Andrea Ghisi)، (دومينيكو ميشيل Domenico Michiel)، و(بيترو جوستباني Pietro Giustiniani)، و(ليوناردو فوسكولو Leonardo Foscolo)، و(جاكوبو باروتزي Jacopo Barozzi)، و(جيوفاني كيوريني Giivanni Quirini)، و(فيلوكالو نافيجاجوزو Filocalo Navigajoso).[٤٣]

هذا، ولم نعثر في المصادر التاريخية على أي اسم لقرصان من القراصنة الشرقيين طوال عصر الحروب الصليبية، سواء كان من المسلمين أو من المسيحيين الشرقيين، وربما يرجع ذلك إلى أن أعمال القراصنة الشرقيين كانت محدودة للغاية، وإما لسيطرة الجنويين والبيازنة والبنادقة على أغلب أعمال القرصنة في مياه البحر المتوسط.

٣-أوكار القراصنة في البحر المتوسط في عصر الحروب الصليبية

كان من الطبيعي أن تكون للقراصنة في البحر أوكار تمثلت في الموانئ والجزر النائية البعيدة عن الأساطيل البحرية للسلطة الحاكمة. كان الميناء البيزي عند مصب نهر(فنيكا Phineca) غربي (ميرMyre) في (ليسيا ycie) ينتسب اسمه دون شك إلى وجود قراصنة جعلوا منه مأوى لهم أكثر منه إلى تجار مسالمين يترددون عليه. وكان ثغرًا (مودون وكورون) في المورة من أوكار القراصنة.[٤٤] وكان ميناء (آنيا Ania) على الساحل الأسيوي للأرخبيل البيزنطي، الواقع بجوار مدينة كوش جنوبي مدينة أفسس القديمة في عهد السيادة البيزنطية، مأوى حقيقيًا للقراصنة من الروم والفرنجة. ومن الموانيء التي يفضلها القراصنة جزيرة (ساموتراس Samothrace)، (زيا Zia)، (ساموس Samos) وموانئ (مالفوازيا Malvoisie) وتسالونيك على الساحل الأوروبي.[٤٥]

ومن أهم أوكار القراصنة في الجزر النائية وغير النائية في البحر المتوسط، جُزر القرصان التي لا تقهر، مثل جُزر الإغريق، والبحر الأدرياتيكي، وبحر (تيرين Tyrhene) وكريت وقبرص، صقلية، مع الجزر والمناطق المجاورة للمحيط.[٤٦] وفي غرب البحر المتوسط، أضحت جزر البليار أوكارًا للقراصنة الذين كانت جيرتهم ثقيلة الوطأة، ليس على سكان مدينة برشلونة فحسب، ولكن وبوجه عام على كل المسيحيين في الجزء الغربي من البحر المتوسط.[٤٧] لكن الصليبيين الأسبان استولوا على جزيرة (مايوركا) الإسلامية التي كانت مليئة بالقراصنة وقُطاع الطرق، وكانت بشكل خاص مضرة جدًا بالتجار والحجاج الذين يسافرون بحرًا بين أفريقيا وإسبانيا.[٤٨] وكان القراصنة واللصوص يستخدمون الجزر الصغيرة في تخزين المسروقات، ففي إحدى الجزر الصغيرة القريبة من جزيرة رودس، يوجد بها مخزونًا كبيرًا من اللحوم المجففة، كانت قد جُلبت إلى هناك من قبل قرصان البحر واللصوص فيه، ولعل ذلك كان بعد الاستيلاء عليها مرة إثر أخرى، فقد خزَنوها هناك.[٤٩]

٤-جرائم القراصنة في البحر المتوسط في عصر الحروب الصليبية

كانت القرصنة وبالاً على الأعداء المنافسين، عند نشوب الحرب، كان لدى القوم بحارة شجعان ومدربون، ولا يعرفون الخوف، مستعدون لخوض غمارها، وشوهد أكثر من زعيم قديم من زعماء القراصنة يتولى أمير حرب قيادة أسطول وطنه أو أسطول دولة صديقة.[٥٠]

أما عن الكفاءة القتالية للقراصنة خلال عصر الحروب الصليبية، فقد كان الجنويون يسيطرون على البحار، ويجوبونها بسفنهم الخاصة[٥١] المسماة (غانيس)، ويقومون بأعمال القرصنة ضد الروم والمسلمين، فيعودون إلى جنوة بالأسلاب والغنائم الوفيرة.[٥٢] وهناك شهادة أخرى على براعة القراصنة في القتال خاصةً في مجال الصيد، جاءت من الرَحالة لودولف فون سوخم، الذي يقول عن ذلك:[٥٣] "توجد في جزيرة القديس بطرس – بالبحر المتوسط – خيول وحشية صغيرة جدًا، ولسرعتهم من غير الممكن إمساكهم إلا من قبل اللصوص الذين يطلقون السهام عليهم ويأكلونهم من أجل التمتع بلحم الطرائد".

وقد تعددت جرائم القراصنة في البحر المتوسط في عصر الحروب الصليبية مثل السرقة، المقرونة بالقتل والحرق والإغراق لسفن الضحايا في بعض الأحيان. وقد انتشرت القرصنة في أوروبا قبل أن تنتشر في البحر المتوسط على نطاق واسع في العصر الصليبي، حيث كان القراصنة الأوروبيون يجوبون البحر المتوسط، ويقومون بأعمال القرصنة ضد المسلمين وغير المسلمين. فقد كانت الجزر الصغيرة في الأرخبيل في البحر المتوسط، التي يمتلكها سادة من أُسر فينيسية، تسهم بقراصنتها الأشداء الذين يغامرون بغاراتهم حتى أرمينيا الصغرى وقبرص وكبتشاك (Kiptchak).[٥٤]

في سنة (٥٩١هـ/١١٩٤م)، أقبلت سفن قراصنة من بيزا، وانقضت على السفن اليونانية، إلى أن اقتربت من مدينة القسطنطينية، وصارت على مرمى البصر منها، فحرقت بعض هذه السفن اليونانية، وباعت سفنًا أخرى، وأعملت السلب والقتل في كل مكان. وأدرك الإمبراطور البيزنطي مدى العار الذي سوف يلحق بحكومته إذا لم يتمكن من القضاء على هذا الإخلال بالأمن، إلا أنه لم يكن يملك القوة الكفيلة بذلك، فبعث إلى بيزا بمبعوثه (جاك البيزي Jucques) حاملاً رسالة تفصح عن يأسه، وحصل جاك البيزي من قناصلة بيزا على تعهد بمطاردة القراصنة بقوة السلاح.[٥٥] وهذه الرواية تدل على مدى قوة القراصنة الأوروبيين في البحر المتوسط، لدرجة وصلت إلى نهب أملاك الدولة البيزنطية نفسها، بل إن الدولة البيزنطية عجزت عن صدهم.

مع وجود الصليبيين في بلاد الشام ووقوع أغلب مدنها على السواحل الشرقية للبحر المتوسط، كان من الطبيعي أن تمتد جرائم القراصنة إلى ممتلكات المسلمين والصليبيين على حد سواء في مياه البحر المتوسط، فضلاً عن الاعتداء على الموانئ الشامية. يقول المؤرخ الصليبي فوشيه الشارتري عن القرصنة البحرية في مياه البحر المتوسط، بعد أن سقطت القدس في يد الصليبيين:[٥٦] "كانت الطريق البرية مسدودة بوجه حجاجنا حتى ذلك الوقت، وقدموا في تلك الأثناء عن طرق البحر إلى يافا، ولم يكن لدينا ميناء غيرها، قدم الحجاج بوجل وهيبة في سفن فرادي أو مجموعات من ثلاث أو أربع سفن، يشقون طريقهم في بحر من القراصنة المعادين".

ويقول دانيال الراهب عن تعرضه للنهب من القراصنة عبر طريقه إلى أنطاكيا من خلال البحر المتوسط:[٥٧] "قابلنا أربعة مراكب، تحمل قراصنة قاموا بمهاجمتنا وسرقتنا" فقد كان قراصنة البحر المتوسط يُهشمون يوميًا عظام المسيحيين ابتداءً من أرمينيا.[٥٨] هذا، ولا يعني تعرض الصليبيين

دراسات

السالف الذكر لأعمال القرصنة في البحر المتوسط، بأن هؤلاء القراصنة كانوا من المسلمين، فقد كان قراصنة بيزا والبندقية يهاجمون جميع السفن، ما عدا سفنهم الوطنية، وكانت المدن التجارية في جنوب إيطاليا ملاذًا للقراصنة الأفريقيين، وكانت تعقد معهم أحلافًا وتشترك معهم في بعض الحملات، وكان القراصنة الأفريقيون يحظون بترحيب طيب في سالرنو وأمالفي ونابولي.[٥٩]

لقد انتشرت أعمال القرصنة البحرية في عصر الحروب الصليبية، وكانت تمارس كمهنة وحرفة، ولم يتم القضاء عليها، حيث انتشرت أعمال القرصنة في أعالي البحار، وفي الموانئ المسيحية وفي ميناء مدينة عكا التي كانت عاصمة للمملكة الصليبية في مرحلتها الثانية، فأصبح خطر القرصنة الذي يهدد السفن عظيمًا، يماثل الأخطار والأهوال الطبيعية كالعواصف وغيرها التي كانت تهدد أيضًا الرحلات البحرية.[٦٠]

استمرت أعمال القراصنة في البحر المتوسط على مدى الوجود الصليبي في بلاد الشام. من ذلك، أن (Diether of Katzenellenbogen) الكونت (ديثر أوف كاتزنلنبوغن) كان في طريقه إلى تسالونيك بعد أن فارق الحملة الصليبية الخامسة، قبل عبورها إلى دمياط والاستيلاء عليها، ولكن سفينته وقعت بيد القرصان قرب جزيرة قبرص، وأُحرقت، ونجا الكونت من غرق السفينة، وسبح مع عدد قليل من الرجال،[٦١] وإذا كان لصوص أوروبا لم يرحموا أطفال أوروبا فيما يعرف بصليبية الأطفال، وقاموا بنهبهم، فقد كان هذا هو الحال بالنسبة إلى قراصنتهم، بل كان فعل القراصنة مع هؤلاء الأطفال الأبرياء أشد وأبشع ولا يتوافق مع روح الحروب الصليبية التي لم تعرف الكراهية والتعصب إلا ضد المسلمين بوجه خاص والشرقيين بوجه عام. فعندما وصل هؤلاء الأطفال إلى موانئ البحر المتوسط، جرى إغراق الكثير منهم من قبل القرصان، كما جرى بيع أعداد كبيرة منهم رقيقًا إلى المسلمين، وإلى أجانب آخرين.[٦٢]

لم تتوقف أعمال القراصنة الصليبيين في البحر المتوسط ضد جنس أو دين أو لون معين، بل شملت الجميع، وكان للمسلمين نصيب في التعرض لجرائم هؤلاء القراصنة. ففي سنة (٥٠٤هـ/١١١٠م)، خرجت جماعة من التجار المسافرين من تنيس ودمياط ومصر ببضائع وأموال جمة، كانوا قد ضجروا وملّوا طول المقام، وتعذر مسير الأسطول في البحر[٦٣] وحملوا نفوسهم على الخطر، وأقلعوا في البحر فصادفتهم مراكب الإفرنج الجنويين، فاعتقلوا سبعين تاجرًا عربيًا، وحصل في أيديهم من الأمتعة، أربعمائة صندوق مملوءة سكرًا مصريًا، وخمسين حملاً أقمشة دمياطية وغير ذلك من الأمتعة، والمال ما يزيد على مائة ألف دينار، وأسروهم وعاقبوهم، واشتروا أنفسهم بما بقي لهم من الذخائر في دمشق وغيرها.[٦٤]

وفي سنة (٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)، قام قرصانان أحدهما جنوي يدعى (ولهلمس جراسوس Wilhelmus Grassus) والآخر بيزي يدعى (أنريكو بسكاتوري Enrico Pescatore) بزيارة جزيرة رودس وسواحل آسيا الصغرى الجنوبية، واستوليا على سفينة أو أكثر من سفن البندقية القادمة من مصر متجهة إلى القسطنطينية، فاستولوا على ما بها من بضائع ثمينة، وقتل القراصنة السفراء والتجار، ولم يتركوا حيًا سوي الغربيين، وعاملوا بمثل هذا سفينة لومباردية كان على متنها الأسقف البيزنطي (بافوس Paphos) الذي أسروه.[٦٥]

وكان القراصنة البيزيون مولعون بالسلب والنهب، ومن ثَمَّ راحوا يطاردون سفن البنادقة، وينهبون ركابها، ويجردونهم من كل ما معهم، فلا يتركون لهم سوى ما عليهم من قمصان، والسفن الصغيرة كانت تترك حمولتها، حتى ولو كانت من الجُبن أو الفاصوليا أو السمك.[٦٦] تحكي الحوليات الجنوية أن بيزا استدعت قراصنتها في عام (٥٩٣هـ/ ١١٩٦م)، لتعزيز الحرب ضد جنوا،[٦٧] وكان (جيوفاني ستيريوني Stirione) قرصانًا قديمًا من (كالابريا) بجنوب إيطاليا، وأصبح أميرالاً في خدمة الإمبراطور البيزنطي.[٦٨]

عندما قامت الحرب الصليبية الأولي، كان للقراصنة الأوروبيين الدور الأكبر في تثبيت أركان الاحتلال الصليبي لبعض مدن بلاد الشام. كان (جاينمر البولوني) من القرصان المحترفين، وبفضل خبرته وتجربته، أدرك حاجة الصليبيين إلى مساعدة بحرية، عندما وصل إلى خليج مرسين، عند مصب نهر البردان أسفل مدينة طرسوس، بعد أن حشد طائفة من زملائه القرصان من الدانيين والفريزيان والفلمنكيين، أبحر من الأراضي المنخفضة في أواخر فصل الربيع، ولما بلغ مياه شرق البحر المتوسط، أخذ يسعي للاتصال بالصليبيين، وفرح حين أدرك أنه صار قريبا من جيش كان قائده بلدوين، فصار بأسطوله مصعدًا في النهر حتى طرسوس، وبذل الولاء لبلدوين.[٦٩]

إذ بعد أن استولى الصليبيون على مدينة طرسوس في الحملة الصليبية الأولى، شاهد جماعة بلدوين من على الأسوار عددًا كبيرًا من السفن المتنوعة في البحر على بعد ثلاثة أميال تقريبًا من المدينة، فركب بعض الفرسان يستطلعون الأمر، ويسألونهم من أي شعب هم وماذا

يريدون؟ فأجابوهم بأنهم من قراصنة البحر، وهم مسيحيون من فلاندرز وانتفيرين، وفريزلاند، ومن مناطق فرنسا، ركبوا البحر منذ ثمانية أعوام يعملون في القرصنة، وسلب ونهب السفن الأخرى في عرض البحر، فأتفق القراصنة والحجاج على عقد تحالف بينهم والسير معًا إلى القدس، فجهَز بلدوين جيشه واتحد مع القراصنة، وانضم منهم ثلاثمائة إلى دراسة مدينة طرسوس، ومائتين إلى جيش بلدوين.(٧٠)

لم يكن هؤلاء الرجال مجرد قراصنة، بل عبارة عن جيش صغير (٥٠٠ قرصان) لا شك أنهم كانوا إضافة فارقة في كل أعمال بلدوين الأول العسكرية في بلاد الشام بعد ذلك. وكان هذا ما تم بالفعل، ففي سنة (٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)، جمع بلدوين جيوشًا من كل الجهات، من القوات الإيطالية خاصةً من بيزا وجنوا والبندقية وأمالفي، مع القراصنة من كل حدب وصوب، وصار مع قواته يريد حصار مدينة صيدا.(٧١)

٥-طرائق الحد من القرصنة في البحر المتوسط عصر الحروب الصليبية

كان لسلطات الدولة الصليبية أو الإسلامية دور كبير في التصدي لهؤلاء المجرمين من القراصنة والقضاء على شأفَتهم في مياه البحر المتوسط. كما تصدت السلطات الصليبية للصوص بالحملات العسكرية والأمنية، تصدت أيضًا للقراصنة بالحملات العسكرية عن طريق الأساطيل البحرية. فقد جاء بناء الأسطول البحري الإنجليزي إبان حكم الملك (هنري الثالث ١٢٠٧-١٢٧٢م) ليكون له بعض الأثر في إعاقة نمو القرصنة،(٧٢) لأن نمو التجارة في البحار أواخر القرون الوسطى تطلب تطهير هذه البحار من القراصنة، فالبندقية مثلاً اعتبرت البحر الأدرياتي منطقة نفوذ لها، فقامت بتطهيره من القراصنة، كما تم تطهير بحر الشمال والبحر البلطيقي شمال أوروبا.(٧٣)

وأصدر الإمبراطور البيزنطي إلى قائد الأسطول البيزنطي الأوامر بأن ينزل العقاب باللاتين – لصليبيين– لما قاموا به من أعمال القرصنة ضد جزيرة قبرص، بعد أحداث الحملة الصليبية الأولى.(٧٤) وعندما زادت غارات القرصان الجنوي (جافوريو Gaffairo) على الدولة البيزنطية، رأي الإمبراطور البيزنطي أليكسيوس الثالث أن الحرب المكشوفة لا تجدي معه، ولجأ إلى الحيلة وتفاوض معه بواسطة بعض الجنويين من سكان القسطنطينية الذين كانوا يعرفون مواطنيهم، وبذل له الوعود، وانخدع القرصان جافوريو، ولم يأخذ حذره لسوء حظه، وذات يوم أغار عليه فجأة (ستيريوني) قائد الأسطول البيزنطي على رأس سفن بيزنطية وبيزية، فأسره وقتله.(٧٥) وهكذا أتت هذه الحملة البحرية بثمارها، وقضت على نشاط هذا القرصان.

وفي سنة (٥٩١هـ/١١٩٤م)، أقبل أسطول من خمس سفن يقودها قراصنة بيزيون، وألقت السفن مراسيها أمام (أبيدوس Abydos) وراحت تنهب أملاك البيزنطيين، وتُوقف القوافل المتجهة إلى مدينة القسطنطينية، وأرسل السفراء البيزيون في القسطنطينية أنفسهم تحذيرات إلى القراصنة، ولكن دون جدوى، وأخيرًا اقتربت سفن حربية بيزنطية، وحملت القراصنة على الفرار.(٧٦)

في أحداث الحملة الصليبية الثالثة، أرسل الملك الانجليزي وليم، قائده (مارجريت) في أسطول إلى الأراضي المقدسة في فلسطين، عقب تحرير القدس الشريف على أيدي المسلمين، فأسرع القائد مارجريت بسفنه، وبما تحت يده من الشواني(٧٧)، وتغلب على مَنْ صادفهم من القراصنة، ودمَر سفنهم وأعطبها، فتمخض ذلك عن أن بسط الأمان ظلَه على الطريق، مما شجع غيره على الاقتداء به، كما فرض سلطانه على كل نادية في البحر، بما في ذلك الجزر النائية.(٧٨)

وفي أحداث الحملة الصليبية الخامسة، جعل الإمبراطور فردريك، الكونت (ماثيو أوف أبوليا) مسئولاً عن منطقة أبوليا -على البحر الأدرياتيكي– فالتحق بالحملة الصليبية الخامسة على مصر، فجاء مع ثمانية غلايين، عاد اثنان منهم إلى القراصنة، كان قد تم الاستيلاء عليهما، لأنهما كانا يهددان المسيحيين – الصليبيين-أثناء السفر في البحر.(٧٩)

لم تقتصر السلطات في الدولة على القيام بالحملات العسكرية البحرية للتصدي للقراصنة في البحر، ولكن كان من المألوف أن يرافق السفن التجارية عدد من سفن الحراسة.(٨٠) كانت توجد إلى جانب السفن الفردية، أساطيل حقيقية تُسمى (قوافل)، وكان التجار الذين يُحضرون معهم سلعًا ثمينة يفضلون هذه الوسيلة في السفر، لأنها تكفل لهم أمنًا كبيرًا من غارات القراصنة، وكان ينظم بصفة عامة في موانئ الغرب الأوروبي رحلتان كبيرتان في الموسم الملائم: الأولى في أعياد الفصح تقريبًا، والثانية في عيد القديس يوحنا المعمدان (٢٤ يونيه).(٨١)

ومن وسائل الحد من القرصنة في البحر المتوسط وسواحله في عصر الحروب الصليبية تحصين الموانئ، فقد كانت مدينة صور- مثلاً- مدينة جميلة لها خليج يتوسطها بين برجين عظيمين، تدخله السفن للرسو عند الميناء، وبين

البرجين سلسلة حديد معترضة، عليها الحراس الأمناء، يربطونها في أول الليل، فيتعذر على سفن القرصان سبيل الدخول للسلب والنهب من البر أو من البحر، وليس في بلاد الدنيا ما يماثل هذا الميناء شأنًا.[٨٢] ومن هذه الوسائل أيضًا، عقد المعاهدات للتصدي لنشاط القراصنة في عصر الحروب الصليبية في البحر المتوسط. في عهد الإمبراطور البيزنطي أليكسيوس الثالث، كان هو نفسه يطلب مساعدة القراصنة ضد نظائرهم، نظرًا لانحلال البحرية البيزنطية، أو يسعى للتحالف مع دولة بحرية ليحارب قراصنة دولة أخرى. فقد خص الإمبراطور أليكسيوس الثالث، البيزيين برعايته، وكثيرًا ما زودهم بالسفن ليقاتلوا بها القراصنة أو غيرهم من الأعداء.[٨٣]

وفى سنة (٦١١هـ/١٢١٤م)، وقّعت معاهدة بين البنادقة والبيزيين، تعهد فيها البنادقة بالامتناع عن كل عمل من أعمال النهب والسلب البحرية ضد البيزيين، وأعلنوا استعدادهم لتجهيز سفن تتعاون مع سفن بيزا لقمع أعمال القراصنة.[٨٤] ولا شك أن هذه المعاهدة كان لها أثر كبير في الحد من أعمال القرصنة في البحر المتوسط، لأنها وقعت بين أكبر رعاة للقراصنة في البحر المتوسط في ذلك العصر.

خَاتِمَةٌ

ترتب على أعمال السلب والنهب التي قام بها القراصنة في عصر الحروب الصليبية العديد من الآثار، فمن الناحية الاقتصادية، كان للنشاط الفعال من جانب القراصنة أثره الفعال على ارتفاع أسعار السلع، في بعض المدن الأوروبية، ومن ثَمَّ على ارتباط الاقتصاد في كل من إنجلترا وفرنسا ودول أخرى،[٨٥] لذا كان من صالح التجارة تطهير البحار من اللصوص الذين يعيثون فيها فسادًا.[٨٦] وكانت أعمال القرصنة سببًا في ثراء بعض المدن في عصر الحروب الصليبية، فقد ذكر أحد المؤرخين بأن مدينة دمياط ازدادت ثروة بالتجارة وبممارسة القرصنة.[٨٧]

أما على المستوى الاجتماعي، فإن المدن البحرية عاشت دائمًا في خوف من تعدي القراصنة على سفنها،[٨٨] وبالنسبة إلى جزر البحر المتوسط وسواحله التي لم يكن لها أسطول قوي يحميها في عصر الحروب الصليبية فإن المصيبة كانت فادحة، فلما قام الجانبان الفاطمي والفرنجي بأعمال القرصنة، فإن سكان الموانئ الساحلية مثل عسقلان وقيسارية وأرسوف، هم الذين اشتدت معاناتهم لها.[٨٩]

ومن الناحية العسكرية، كان القراصنة ولصوص البحر يعيقون كثيرًا إرسال المؤن والإمدادات إلى الأراضي المقدسة، بالاستيلاء على الذاهبين إلى تلك البلاد والآيبين منها، ونهبهم،[٩٠] فعندما فكر فيلب السادس ملك فرنسا في القيام بحملة صليبية جديدة، كان عليه أن يكفل حرية مواصلاته، غير أن هذه المواصلات سوف تكون مهددة طالما لم يضع حدًا لجرأة هذا الشعب من القراصنة، تلك الجرأة التي تشتد يومًا بعد يوم.[٩١]

وفي وقت تميز بتضخم الظاهرة الدينية، كانت أعمال القراصنة أحيانًا تُعيق الصليبيين من الوصول إلى الأماكن المقدسة، ففي سنة (٦٤٢هـ/١٢٤٤م)، نشب خلاف بين الجنويين والبنادقة، وبلغت الخصومة بين هاتين الفئتين إلى حد أن أسطولهما حارب أحدهم الآخر، وصار البحر خطيرًا جدًا، إلى درجة أن ما من حاج صليبي يتجرأ على زيارة الأماكن المقدسة، لأن الفئتين كانتا قويتين في البحر والبر، وكانتا أداتا رعب لكل من الصليبيين والمسلمين سواء.[٩٢]

الهَوامِشُ:

(١) عبد الرؤوف سنّو، "**التجارة الألمانية والقرصنة في غربي البحر المتوسط: إشكالياتها وعقبات تطويرها (١٧٦١ – ١٨٣٠)**"، مجلة أوراق جامعية (بيروت)، العدد (٣٧) ٢٠١١.

(٢) لودولف فون سوخم: **وصف الأرض المقدسة**. ترجمة/ سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق ١٩٩٩م. ج٣٧/ ص٢٦٧.

(٣) فيلكس فابري: **رحلات فيلكس فابري**. ترجمة/ سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٠م. ج٣٧/ ص٢٢٧.

(٤) بطرس البستاني: **محيط المحيط**. مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٧م. مادة قرص.

(٥) أحمد مختار عمر: **معجم اللغة العربية المعاصرة**. عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م. ج٣/ ص١٧٩٨.

(٦) خير الدين الأسدي: **موسوعة حلب المقارنة**. منشورات جامعة حلب، سوريا ١٩٨١م. ج٥/ ص١٧٦.

(٧) عبد الرحمن بشير: **القرصنة غربي المتوسط**. حوليات كلية الآداب، جامعة الزقازيق، العدد ٣٢ سنة ٢٠١٢م. ص ١٨.

(٨) المرجع السابق: العدد ٣٢ سنة ٢٠١٢م. ص ١٩.

(٩) **الحرب الصليبية الثالثة**: ترجمة/ حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠م. ج١/ ص١٦٥.

(١٠) **رحلات فيلكس فابري وجولاته**: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية. ج٣٨/ ص٢٢٨.

(١١) **التاريخ الكبير**: ترجمة/ سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق ٢٠٠١م. ج٤٠/ ص٤٨٩.

(١٢) المصدر السابق: ج٣/ ص٤٤٩.

(١٣) إيلاف عاصم مصطفي: "**دور البابوية والقراصنة في شلّ حركة التجارة الشرقية في البحر الأبيض المتوسط (١٢٩١-١٤٩٨م)**". مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، العراق، العدد٧٣ سنة ٢٠١٢م. ص٢٧١- ٢٧٢.

(١٤) ف. هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى**. ترجمة/ أحمد رضا محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١م. ج٢/ ص١٠٢.

(١٥) **تاريخ بيت المقدس**: ترجمة/ سعيد البيشاوي، دار الشروق، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.ص١٣٥.

(١٦) ف. هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**. ج١/ ص٢٨٣.

(١٧) المرجع السابق: ج١/ ص٢٨٣.

(١٨) **ألكسيوس الثالث**: إمبراطور بيزنطة خلال الأعوام من ١١٩٥ إلى ١٢٠٣م، وقد وصف بالضعف والفساد والانحلال وسيطرة زوجته عليه، تم القبض علية عام ١٢١٠م، وأمضى باقي عمره في أحد أديرة في مدينة نيقية. محمد مؤنس عوض: **معجم أعلام عصر الحروب الصليبية في الشرق والغرب**، مكتبة الآداب، القاهرة ٢٠١٤م. ص٥٧٠-٥٧١.

(١٩) عبد الرحمن بشير: "**القرصنة غربي المتوسط**". حوليات كلية الآداب، جامعة الزقازيق، العدد ٣٢، سنة ٢٠١٢م. ص٦١.

(٢٠) ف. هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**. ج١/ ص٢٤٤.

(٢١) باتسيك ماخوفسكي: **تاريخ القرصنة في العالم**. ترجمة/ أنور محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٨م.ص٧.

(٢٢) ف. هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**. ج١/ ص٢٤٨.

(٢٣) **الغليون**: نوع من السفن اعتاد الحجاج الصليبيون على عبور البحر الأبيض المتوسط بها إلى الأرض المقدسة، وهو نوع من المراكب المتوسطة الحجم العاملة في البحر، وهو ليس من النوع الأكبر. وهي مراكب مستطيلة ترحل من شاطئ إلى آخر، وتبقي مبحرة على مقربة من الشاطئ، ولها ستين مقعدًا على كل جانب، ولكل مقعد ثلاثة من البحّارة، معهم ثلاثة مجاديف. فيلكس فابري: **رحلات فيلكس فابري**. الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية. جـ٣٨ ص٢٣٢، لودولف فون سوخم: **وصف الأرض المقدسة**. الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية. ج٣٧/ ص٢٧٣.

(٢٤) متى باريس: **التاريخ الكبير**. الموسوعة الشامية. ج٤٠/ ص١٢٠٣.

(٢٥) باتسيك ماخوفسكي: **تاريخ القرصنة في العالم**. ص٨ -٩.

(٢٦) ف. هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**. ج٢/ ص١٠١.

(٢٧) ف. هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**. ج٢/ ص١٠٠.

(٢٨) المرجع السابق: جـ١ ص٢٤١.

(٢٩) **رحالات فيلكس فابري وجولاته**: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية. ج٣٨/ ص٢٤٤.

(٣٠) المصدر السابق: جـ٣٨ ص٢٦٥.

(٣١) باتسيك ماخوفسكي: **تاريخ القرصنة في العالم**. ص٨-٩.

(٣٢) مجهول: **الحرب الصليبية الثالثة**. ج٢/ ص١٤٠.

(٣٣) ف. هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**. ج٢/ ص١٠١.

(٣٤) عزيز سوريال عطية: **الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب**. ترجمة/ فيليب صابر سيف، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٧م. ص١٥٧.

(٣٥) رنسيمان: **تاريخ الحروب الصليبية**. ترجمة/ السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٣م. ج١/ ص٣٨١.

(٣٦) ف. هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**. ج١/ ص٢٨٠-٢٨١.

(٣٧) المرجع السابق: ج٢/ ص١٠٠.

(٣٨) متى باريس: **التاريخ الكبير**. الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية. ج٤٠/ ص٥٠٩.

(٣٩) روجر أوف ويندوفر: **ورود التاريخ**. الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية. ترجمة/ سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٠، ج٣٩/ ص٧٤٥.

(٤٠) ف. هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**. ج٢/ ص١٠١.

(٤١) ف. هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**. ج١/ ص٢٤١-٢٤٢.

(٤٢) المرجع السابق: ج١/ ص٢٩٩.
(٤٣) المرجع السابق: ج١/ ص٢٨٢-٢٨٣.
(٤٤) ف. هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**. ج١/ ص٢٤٤، ٢٧٩.
(٤٥) المرجع السابق: ج٢/ ص١٠١، ٢٠٦.
(٤٦) متي باريس: **التاريخ الكبير**. الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية. ج٤٠/ ص٤٣٣.
(٤٧) ف. هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**. ج١/ ص٣٣١.
(٤٨) متي باريس: **التاريخ الكبير**. الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية. ج٤٠/ ص٥٠.
(٤٩) لودولف فون سوخم: **وصف الأرض المقدسة**. الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية. ج٣٧/ ص٢٨٥.
(٥٠) ف. هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**. ج١/ ص٢٤٤.
(٥١) كان من السفن الشائع استخدامها في القرصنة في البحر الأبيض المتوسط حتى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، هي القادوس، وهي عبارة عن مركب شراعي ذي مجاديف. عبد الرحمن بشير: **القرصنة غربي المتوسط**، حوليات كلية الآداب، جامعة الزقازيق، العدد ٣٢ سنة ٢٠١٢م. ص٢١.
(٥٢) بنيامين التطيلي: **رحلة بنيامين التطيلي**، ترجمة/ عزرا حداد، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م. ص١٩٢.
(٥٣) **وصف الأرض المقدسة**: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٣٧/ ص٢٧٥.
(٥٤) ف . هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**. ج٢/ ص١٠٢.
(٥٥) ف . هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**. ج١/ ص٢٤٣.
(٥٦) **تاريخ الحملة إلى القدس**: ترجمة/ زياد العسلي، دار الشروق، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٩٩٠م. ص١١١.
(٥٧) **رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الديار المقدسة ١١٠٦-١١٠٧م**: ترجمة/ سعيد البيشاوي، مؤسسة مهنا، عمان، الأردن، الطبعة الأولي ١٩٩٢م: ص١٠٥.
(٥٨) مارينو سانوتو: **الأسرار للمؤمنين بالصليب في استرجاع الأراضي المقدسة والحفاظ عليها**. ترجمة/ سليم رزق، مؤسسة الريحاني، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١م. ص١٢٥.
(٥٩) ف . هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**. ج١/ ص٦٨.
(٦٠) يوشع براور: **الاستيطان الصليبي في فلسطين**. ترجمة/ عبد الحافظ البنا، دار عين، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، ص٢٤٦.
(٦١) أولفر أوف بادربورن: **الاستيلاء على دمياط**: ترجمة/ سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق ١٩٩٨م. ج٣٣/ ص٨٤-٨٥.
(٦٢) فيلكس فابري: **رحلات فيلكس فابري**. الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٣٨/ ص١١٥٦.
(٦٣) يفهم من هذه العبارة بأن التجار المسلمين كانوا يسافرون في البحر المتوسط تحت حماية الأسطول الإسلامي خوفًا من هؤلاء القراصنة الصليبيين، ولما تعذر سيره مع هؤلاء التجار وطال انتظاره، تعجلوا المسير بمراكبهم دون حماية، مما عرضهم لهجوم القراصنة.
(٦٤) ابن القلانسي: **ذيل تاريخ دمشق**. مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨م. ص١٧١، ابن العبري: **تاريخ الزمان**. ترجمة/ إسحق أرملة، دار المشرق، بيروت ١٩٩١م. ص١٣٢.
(٦٥) ف. هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**. ج١/ ص٢٤١-٢٤٢.
(٦٦) ف. هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**. ج٢/ ص١٠٠.
(٦٧) ف. هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**. ج١/ ص٢٤٤.
(٦٨) المرجع السابق: ج١/ ص٤٤٨.
(٦٩) رنسيمان: **تاريخ الحروب الصليبية**. ج١/ ص٢٩٨-٢٩٩.
(٧٠) ألبرت فون آخن: **تاريخ الحملة الصليبية الأولى**. الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية. ج٥١/ ص٥٠-٥١.
(٧١) المصدر السابق: ج٥١/ ص٢٧٢.
(٧٢) باتسيك ماخوفسكي: **تاريخ القرصنة في العالم**. ص٦٣.
(٧٣) سعيد عبد الفتاح عاشور: **أوروبا العصور الوسطى**. لجنة البيان العربي، القاهرة، لم تذكر سنة الطبع. ج٢/ ص١١٦.
(٧٤) رانسيمان: **تاريخ الحروب الصليبية**. ج١/ ص٤٤٦.
(٧٥) ف . هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**. ج١/ ص٤٤٨.
(٧٦) المرجع السابق: ج١/ ص٢٤٣.
(٧٧) الشواني: سفن حربية كبيرة، ومفردها شيني. أحمد دهمان: **معجم ألفاظ المصطلحات التاريخية في العصر المملوكي**. دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٠م. ص١٠٠.
(٧٨) مجهول: **الحرب الصليبية الثالثة**. ج١/ ص٥٠.
(٧٩) أولفر أوف بادربورن: **الاستيلاء على دمياط، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية**. ج٣٣/ ص٧٩.
(٨٠) يوشع براور: **الاستيطان الصليبي في فلسطين**. ص٢٤١.
(٨١) ف. هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**. ج١/ ص١٩١.
(٨٢) **رحلة بنيامين التطيلي**: ص٢٣٨.
(٨٣) ف. هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**. ج١/ ص٢٤٤-٢٤٨.
(٨٤) ف. هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**. ج١/ ص٢٩٧.
(٨٥) باتسيك ماخوفسكي: **تاريخ القرصنة في العالم**. ص٦٣.
(٨٦) ف. هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**. ج٢/ ص١٠٢.
(٨٧) أولفر أوف بادربورن: **الاستيلاء على دمياط**. الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية. ج٣٣/ ص٦٤.
(٨٨) سعيد عاشور: **أوروبا العصور الوسطى**. ج٢/ ص١١٦.
(٨٩) رنسيمان: **تاريخ الحروب الصليبية**. ج١/ ص٤٥٧.
(٩٠) متي باريس: **التاريخ الكبير**. الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٤٠/ ص٧٨٦.
(٩١) ف. هايد: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**. ج٢/ ص٦٧.
(٩٢) فيلكس فابري: **رحلات فيلكس فابري**. الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٣٨/ ص١١٧٠.